المحاضرة الرابعة
السرد / ألف ليلة وليلة

1/ مفهوم السرد:

هو قص حدث أو أحداث، خيالية كانت أو حقيقية، يستوجب فيها وجود سارد ومسرود له ورسالة مبنية على سنن متعارف عليه بين الطرفين.

يتواجد السرد في كل المجتمعات بآليات وأشكال مختلفة، تبعا لما يستسيغه كل منها، حيث نجده في الأسطورة والخرافة، والملحمة والمقامة والملهاة والمأساة، إلى جانب الأشكال الحداثية كالقصة والرواية. ويوظف السرد في مختلف اللغات سواء أكانت شفوية أو مكتوبة.

يمكن أن نجد مصطلح السرد تحت تسميات مختلفة نحو الحكي، والقص، والرواية، وهي مصطلحات تقابل المصطلح الفرنسي **narration**، أو الإنجليزي **narrative**.

جاء الاهتمام بالسرد من حيث النظم التي تحكمه متأخرا، حيث كانت بداياته في مطلع القرن الماضي على يد الناقد الروسي **إخنباوم**، لكن معالم هذا العلم قد تأسست سنة **1969** على يد المنظر تودوروف، فتشكل بذلك ما يسمى بعلم السرد **narratologie**، حيث نجده في اللغة العربية بعدة تسميات مثل السردية والسردانية والسرديات، ويعتبر النقاد السردية فرعا من الشعرية بحكم أنها تبحث عن آليات البنية السردية للخطاب الأدبي.

جاءت السردية العربية متأخرة، حيث اعتمدت على ما توصل إليه النقاد الغربيون من نتائج، في حين أنهم عرفوا السرد منذ القدم، إذ أنه في الفترة التي ازدهرت فيها الملاحم في الحضارة اليونانية، انتشر بين العرب فن السير الذاتية، ثم باحتكاكهم بالحضارات الأخرى بعد انتشار الإسلام تمكنوا من نقل العديد من الفنون الأدبية وكيّفوها لتتماشى مع ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، فنقلوا مثلا الحكاية الخرافية، والحكاية على لسان الحيوان، تاركين بصمتهم في نتاجين أدبيين لا يزالان يثيران إعجاب النقاد والدارسين وهما: حكايات ألف ليلة وليلة وحكايات كليلة ودمنة.

أ / ألف ليلة وليلة

تعتبر حكايات ألف ليلة وليلة من أكثر القصص رواجا في العالم، حيث كانت في البداية تروى شفويا ثم انتشرت بعض المخطوطات التي حاول فيها الكتاب جمع الحكايات وتدوينها، ومنها استمد المستشرق الفرنسي **أنطوان قالون** كتابه الذي سماه ألف ليلة وليلة حيث تصرف في الحكايات التي تتضمنه حتى تتناسب مع ذوق القراء الفرنسيين وكان ذلك سنة **1704**، ومعظم النسخ الغربية لحكايات ألف ليلة وليلة كانت ترجمة لعمل

هذا المستشرق الفرنسي. في حين أنتجت الطبعة الأولى لألف ليلة وليلة باللغة العربية سنة **1814** بكالكوتا بالهند، بينما أنجزت الطبعة الثانية سنة **1835** بالقاهرة.

1 مضمون الكتاب:

يتناول الكتاب مجموعة كبيرة من القصص (في حدود **200** قصة، وليس ألف قصة وقصة على نحو ما يعتقده البعض)، تتمايز بين العامية والفصحى، ويتخللها شعر أغلبه مكسور وركيك، يتضمن **1420** مقطوعة.

وتتضمن القصة الرئيسية فيها حكاية الملك **شهريار** الذي أراد الانتقام من خيانة زوجته وذلك بالزواج في كل مرة بامرأة حيث يبيت معها ليلة واحدة، ثم يقتلها مع طلوع الشمس. ومن أجل إنقاذ حياة الفتيات من بطش ذلك الملك، قررت **شهرزاد** وهي ابنة وزيره الأول الزواج منه، حيث كانت تقص عليه كل ليلة قصة ولا تتمها، فيقرّر الملك إبقاءها حية حتى يستمع لما تبقى من القصة، لكنها كانت تربط القصص مع بعضها البعض، واستمر الحكي مدة طويلة من الزمن إلى أن رزقت منه ولدا، فأعجب بذكائها وقرّر التخلي عن قراره الأول.

2 أصل الحكايات:

يرى النقاد أنه بالإمكان تقسيم حكايات ألف ليلة وليلة إلى روافد ثلاثة: حكايات تعود أصولها إلى **الهند والفرس**، وحكايات تعود إلى عهد **العباسيين**، أما الرافد الثالث، فيتعلق بالحكايات التي تعود إلى مصر أثناء الحكم الفاطمي.

تتميز حكايات ألف ليلة وليلة منذ ظهورها بالمرونة والتكيف، إذ اشترك في تأليفها العديد من المؤلفين الذين ينتمون إلى حضارات وعصور مختلفة، حيث ابتدأت مع خيال شخص من **الهند**، ثم وصلت القصة إلى رجل من **الفرس**، وتابعت مسارها إلى أن وصلت إلى رجل من **البصرة** قام بتدوينها، لتبدأ انتشارها في مختلف ربوع البلاد.

إن طبيعة الحكايات هي التي تظهر أصولها، فالقصص التي تعتمد على الخيال والقوى الخارقة التي تتصارع فيها المخلوقات العجيبة والخرافية تنتمي إلى الهند والفرس، حيث تستحضر فيها الأرواح، ويتصارع فيها الجن مع الإنس، في حين تتناول القصص العباسية مدينة بغداد والبصرة، ومختلف الخلفاء الذين حكموها أمثال هارون الرشيد، ووزيره جعفر البرمكي، أو شعراؤها كأبي نواس، متناولة أحوال التجار، والجواري، وقصص الحب، وحكايات الغرام، ومغامرات الملوك وما يرتبط بهم من حياة الترف والبذخ واللهو والمجون.. بينما تعتمد النصوص المصرية على سرد القصص التي تدور في فضاء القاهرة، متناولة العلاقات الاجتماعية على النحو الذي كانت عليه آنذاك وذلك بالحديث عن حياة اللصوص، والكتاب، والموظفين والجواري والغلمان.

أغلب المخطوطات القديمة التي تناولت حكايات ألف ليلة وليلة تعتمد إما بشكل كلي أو جزئي على العامية، مما يظهر دور الشفوية في عملية نقل الحكايات وتواترها بين الناس.

وعلى الرغم من اختلاف الروافد الخاصة بها، والإضافات والتعديلات التي وقعت عليها إلا أنها في الأخير تمكنت من الانصهار معا، محققة الوحدة العضوية المرجوة، فالقارئ لا يحس باختلاف المنابع، وكأن القصص في ترتيبها وتلاحمها تشكل قطعة واحدة لا يمكن تجزيئها.

3 تاريخ كتاب ألف ليلة وليلة:

يرى بعض النقاد أن الكتب التي تتضمن كل القصص في حلتها النهائية تعود إلى القرنين الثالث عشر أو الرابع عشر، حيث يرون أنه وعلى الرغم من كثرة المغامرات والسهرات التي تتناولها الحكايات إلا أنه لم يكن فيها ذكر للقهوة أو التبغ، وهما مادتان لم تعرفا إلا في القرن الخامس عشر. لكن هناك من النقاد من يرى أنه يستحيل تحديد عصر الحكايات بدقة لكونها تعتمد على الإضافات والتعديلات في فترات زمنية مختلفة.

4 سبب التسمية:

بما أن حكايات ألف ليلة وليلة لا تتضمن هذا العدد من القصص، فإن بعض النقاد يعتقدون أن أصل التسمية يعود إلى كتاب فارسي يحمل اسم **هزاز أفسانة**، بمعنى ألف خرافة، ثم حدث تغيير في العنوان أثناء نقله إلى اللغة العربية، وهنا اختلف النقاد حول أسباب وقوعه، فظهرت فرضيات عدة، منها أن العرب كانوا **متشائمين** من الأعداد الزوجية، إلى جانب ميلهم الفطري إلى الجانب الموسيقي، الأمر الذي جعلهم يضيفون الليلة الواحدة بعد الألف، وهناك من يرى أن تغير التسمية جاء **تأثرا** بكتابين معروفين في القرن السابع الهجري وهما **ألف جارية وجارية** وكتاب **ألف عبد وعبد**. فيما يرى فريق آخر أن إضافة الليلة على الألف تم في القرن السادس الهجري، لإفادة الكمال، فالألف عدد تام، وإذا أضيف عليه الواحد أفاد الكمال وهي درجة أعلى من التمام.

5 جمالية السرد في كتاب ألف ليلة وليلة:

تحمل طريقة سرد الأحداث أهمية كبرى في هذا العمل القصصي، إذ أدت شهرزاد بصفتها السارد الرئيسي في الحكاية دورا محوريا في التأثير على القارئ من جهة إلى جانب الربط بين القصص مع بعضها البعض من دون إهمال دورها الأساسي في تصوير الحدث، وتساعدها في بعض المهام أختها **دنيزاد** التي تستفسر عن القصص التي تلمّح إليها **شهرزاد**، كدلالة على استمرار الحكايات وعدم انتهائها، وتتشكل بذلك سلسلة جديدة من الحكايات تلعب فيها شخصية الملك **شهريار** دور المتشوق لمعرفة مضمون القصة.

إن التسلسل الذي بنيت عليه الحكايات وربطه بالليالي، كان الهدف من ورائه عدم وقوع القارئ أو السامع في الملل. حيث بنيت الحكايات على شكل هرمي، تشكل القصة الرئيسية قمته، ثم تتفرع حولها قصص ثانوية متداخلة يمكن تقسيمها على النحو التالي:

- **الحكايات الافتتاحية:** تتضمن حكاية شهريار وما جرى له من أحداث بعد اكتشاف خيانة زوجته له إلى غاية نهاية الليالي.
- **حكايات الإطار:** وهي الحكايات التي كانت تقصها شهرزاد على الملك.
- **حكايات تضمينية:** وهي الحكايات التي تدخل ضمن حكايات الإطار ولها علاقة مع مضمونها.
- **حكايات خارج الإطار:** هي الحكايات التي ترد داخل الحكايات التضمينية لكن أحداثها لا تمت بصلة مع حكايات الإطار أو الحكايات التضمينية.

6 تداخل السرد في الحكايات:

تعتبر **شهرزاد** ساردا رئيسيا في الحكايات لكنها في كل مرة تتنازل عن تلك الوظيفة، فاسحة المجال لشخصيات حكاياتها لتولي تلك المهمة، حيث أن لكل قصة ساردها الخاص الذي يختفي بمجرد نهاية الحكاية ليعود مسار السرد من جديد بين يدي شهرزاد.

ويتقمص كل سارد في حكاياتها دورا في الحكاية الأمر الذي يدفع بها إلى تحميله مختلف الصفات التي تتناسب مع دوره فيها مظهرة تباينا واضحا بين الساردين تبعا لاختلافهم سواء من الناحية الجسدية أو من الناحية الفكرية، الأمر الذي يجعل القارئ يتأثر بالحكايات ويتفاعل مع ساردیها، ولا يحسّ بذلك بالصوت الواحد الذي يقف وراء كل الحكايات.

واختلاف السارد يحمل دوما بين طياته اختلاف الأحداث ، إلى جانب ظهور شخصيات جديدة، مع تغير في المكان والزمان.